سماحة الإسلام

في معاملة غير المسلمين

إعداد
د. عبد الله بن إبراهيم اللحيدان
أستاذ مشارك بقسم الدعوة والاحتساب
كلية الدعوة والإعلام – جامعة الإمام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد، فإن الله تبارك وتعالى شرع لعباده دينا قويما وهداهم صراطا مستقيما من اتبعه رشد واهتدى، ومن ضل عنه فقد خسر خسرانا مبينا، وهذا الدين الذي بعث الله به سيد المرسلين دين خاتم مهيمن على جميع الأديان قبله، وهو رسالة الله الخاتمة إلى جميع الثقلين إلى قيام الساعة، واقتضى ذلك أن يكون في هذه الرسالة من الخصائص والسمات ما يجعلها صالحة لكل زمان ومكان إلى جميع أمم الأرض، وأعظم هذه الخصائص وأجلها السماحة واليسر في كل شأن من شئون الحياة في العبادات والمعاملات والأخلاق والآداب مع المسلمين وغير المسلمين، وسماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين أحد الموضوعات الثرية بالمادة العلمية وقد حظيت باهتمام العلماء قديما وحديثا ومن ينظر في كتاب أحكام أهل الملل للخلال وأحكام أهل الذمة لابن القيم مثلا يجد ذلك جليا ظاهرا ويجد رصيدا حضاريا هائلا تزخر به كتب الفقه الإسلامي في أحكام غير المسلمين كما أن هناك العديد من البحوث والدراسات الحديثة في هذا الشأن. وهذه أحد صور عظمة الإسلام في واقعيته وعالميته، فقد قضى الله سبحانه وتعالى وقدر أن لا يؤمن أهل الأرض كلهم وله الحكمة التامة في ذلك والحجة البالغة، قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ (1) وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (2) وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (3) . ولا يتصور مع بقاء الكفر على الأرض، ومع وجوب تبليغ الدعوة إلى الناس كلهم لا يتصور مع ذلك أن ينعزل المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات، ولذلك فإن التشريع الإسلامي نظم علاقة المسلم مع غيره من بني جنسه أفرادا ومجتمعات ووضع الضوابط الكاملة في ذلك داخل المجتمع الإسلامي وخارجه.وهذا البحث يسعى إلى بيان سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين بمختلف أصنافهم ودياناتهم من أهل الكتاب وغيرهم وذلك من خلال الوقوف على هدي القرآن والسنة في ذلك والتطبيق العملي في سيرة النبي ﷺ وسيرة السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان، وهذه السماحة أخضعت أعناق الباحثين من غير المسلمين ليسجلوا شهاداتهم بأن لا مثيل لحضارة الإسلام في معاملة مخالفيه،كما يسعى البحث إلى بيان التطبيق الحضاري لهذه السماحة في المملكة العربية السعودية.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وخمسة مطالب على النحو التالي:

---

(1) سورة القصص آية: 68.

(2) سورة يوسف آية: 103.

(3) سورة يونس آية: 99.

أسأل الله تعالى أن يلهمنا الصواب في القول والعمل وأن يتجاوز عن الخطأ والزلل إنه جواد كريم.

المطلب الأول المدلول والأهمية

أولا مدلول السماحة

1- مدلولها: يتحدد مفهوم السماحة من خلال معرفة مدلولها اللغوي حيث ذكر ابن فارس في معجم مقاييس اللغة أن السين والميم والحاء أصل صحيح يدل على سلاسة وسهولة [1] . والمسامحة: المساهلة [2] . وفي الحديث قال ﷺ « **أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة** » [3] [4] . قال ابن حجر: السمحة: السهلة، أي أنها مبنية على السهولة [5] . والسماحة تشمل أصول الدين وفروعه وصورها لا تحصر، فعقيدة الإسلام سمحة وشريعته سمحة، وتمتد صور السماحة إلى المعاملة، قال ﷺ « **رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى** » [6] [7] وبوب البخاري رحمه الله للسماحة في هذا الحديث بالسهولة فقال: باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، قال ابن حجر: "وفي الحديث: الحث على السماحة في المعاملة واستعمال معالي الأخلاق وترك المشاحة والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم " [8] .

2- ضابطها الشرعي: السماحة لا تعني التساهل دون ضابط شرعي يحكمها فهي مرتبطة بالنص وعندما يخلط بعضهم بينها وبين التساهل المذموم فقد يعيب بعض على الآخر ظنا منهم أن في السماحة تفريطا بأصل الدين، إن فهم مدلول السماحة وأنها تعني السهولة والمسامحة والمساهلة لا يعني بحال التفريط في شيء من أصول الدين أو فروعه، كما أن التفريط في فهم سماحة الإسلام وتطبيقها قد يفضي إلى التشديد والتنفير من هذا الدين وقد قال تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ [9] وقال تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [10] وفي الحديث عنه ﷺ « **هلك المتنطعون** » [11] [12] قالها ثلاثا، والمتنطعون: المتشددون في غير موضع التشديد [1] . فهذا الدين جاء ليضع الآصار والأغلال التي كانت على الأمم السابقة، وقد كان النبي ﷺ يأمر بالتيسير وينهى عن التعسير.

---

(1) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط3 ، 1402 ه ج3 ص99.
(2) انظر: النهاية في غريب الحديث ، مجد الدين ابن الأثير ، دار أنصار السنة ، لاهور ، د ت ، ج 2 ص 398.
(3) أحمد (236/1).
(4) رواه البخاري معلقا في كتاب الإيمان ، باب الدين يسر قال ابن حجر هذا الحديث لم يسنده المؤلف لأنه ليس على شرطه ووصله في كتاب الأدب المفرد وهو في المسند عن ابن عباس بإسناد حسن انظر فتح الباري ، ابن حجر ، دار المعرفة ، بيروت ، د ت ، ج 2 ص 94وقال عنه الألباني: حسن لغيره انظر: صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري ، الألباني ، دار الصديق ، الجبيل ، ط 2 1415ه ص 122.
(5) فتح الباري ، بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر ، ج1 ص 94.
(6) البخاري البيوع (1970) ، الترمذي البيوع (1320) ، ابن ماجه التجارات (2203) ، أحمد (340/3).
(7) رواه البخاري ، كتاب البيوع ، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ، رقم الحديث: 2076.
(8) فتح الباري ، ابن حجر ، ج 4 ص 207.
(9) سورة الحج آية: 78.
(10) سورة البقرة آية: 185.
(11) مسلم العلم (2670) ، أبو داود السنة (4608) ، أحمد (386/1).
(12) رواه مسلم ، كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون ، رقم الحديث: 2670.

والسماحة لا تعني الضعف والإسلام يأبى الضيم ويرفض لأتباعه الذل والهوان والمؤمن عزيز بإيمانه وإسلامه قوي بهما، ومن يظنون السماحة والصفح والحلم والعفو ضعفا لا يدركون عظمة هذا الدين. والسماحة كبقية المعاني العظيمة التي جاء بها الإسلام كالوسطية والتيسير والعدل والعفو والصفح وغير ذلك لها ضابطها الشرعي الذي إن حادت عنه كانت عقبة كئودا في فهم طبيعة الإسلام.

ثانيا أهمية السماحة في الإسلام

كان بناء دين الإسلام منذ ظهوره على اليسر قال ﷺ « **إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه** » [2] [3] . وفي هذا الدين من السماحة والسهولة ومن اليسر والرحمة ما يتوافق مع عالميته وخلوده وهو ما يجعله صالحا لكل زمان ومكان لسائر الأمم والشعوب، فالسماحة تتواءم مع عالمية الإسلام، وخطاب الدعوة في القرآن والسنة يؤكد ذلك حيث جاءت النصوص تدعو الناس أن ينضموا تحت لواء واحد وأن يتنافسوا على معيار الإسلام الخالد وهو التقوى قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [4] . لقد جاء الإسلام في فترة جاهلية أهدرت كرامة الإنسان وحريته فأعاد الإسلام بناء الإنسان من جديد ونظم علاقته بربه وعلاقته بالآخرين.

ولقد وضع الإسلام الضوابط الكاملة لجميع ميادين الحياة في علاقة المرء بربه وفي علاقته ببني جنسه وفي علاقته بسائر المخلوقات، وجاءت جميع هذه الضوابط متوافقة مع فطرة الإنسان وعقله، فيها من التيسير والسماحة والمرونة، وهذه من خصائص الإسلام العظيمة التي ترتبط بأصل هذا الدين ولا يعيق تطبيقها عائق ففي أوج قوة المسلمين كانت السماحة شعارا لهذا الدين وصور ذلك لا تحصر وسيأتي بيانها.

وجاءت نصوص القرآن الكريم تقرر أن الخلاف باق بقاء الإنسان على هذه الأرض، وأن التعدد والتنوع في أخلاق وسمات البشر مما مضى به القدر الإلهي فسنة الله تعالى في خلقه أن تنوعت أجناسهم وألسنتهم وألوانهم كما تنوعت دياناتهم، ولذلك فإن عيش المسلم ينبغي أن يكون في ضوء هذه الحقيقة التي تزخر بها آيات عديدة كقوله تعالى: ﴿

---

(1) رياض الصالحين ، النووي ، مكتبة الوراق ، الرياض ، ط 1 ، 1416ه ، ص 128.
(2) البخاري الإيمان (39) ، مسلم صفة القيامة والجنة والنار (2816) ، النسائي الإيمان وشرائعه (5034) ، ابن ماجه الزهد (4201).
(3) رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب الدين يسر ، رقم الحديث: 39.
(4) سورة الحجرات آية: 13.

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [1] وقوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [2].

(1) سورة يونس آية: 99.

(2) سورة هود آية: 120 - 119 .

سماحة في العقيدة: إن دين الإسلام دين سماحة ويسر في عقيدته وعباداته ومعاملاته وآدابه وسائر تشريعاته فعقيدته لا تقوم على فلسفة معقدة أو تسليم مطلق أو مخالفة للفطرة والعقل، فأطلق القرآن الكريم الحرية للمرء للتدبر والتفكر في نفسه، وفي ملكوت السماوات والأرض، ودعا الناس إلى الإيمان بالله وحده وفي القرآن الكريم ما لا يحصى من الآيات الداعية إلى الإيمان يستوي في فهمها العامة والخاصة حيث دعت كل أحد إلى التجرد من الهوى والتقليد وخاطبت عقولهم وفطرهم، وهي مع ذلك لا تكرههم على الإيمان، ﴿ **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها** ﴾ [(1)] . وفي القرآن العظيم من الآيات الدالة على أن أصحاب العقول السليمة والألباب المستقيمة إذا حكموا عقولهم واستجابوا لفطرتهم وتخلصوا من ربقة التقليد فإنهم ينقادون إلى هذا الدين عن طواعية ورغبة.

إن من يقرأ القرآن الكريم يعلم حقيقة السماحة في الإسلام في أعظم قضية جاء بها الإسلام وهي قضية التوحيد فيعرض لها القرآن بأسلوب سمح سهل يدركه كل عاقل ويستدل على حقائق الإيمان بما يحسه الناس ويدركونه بأيسر طريق.

وعبر تاريخ دولة الإسلام كان يعيش في داخلها غير المسلمين في مراحل قوتها وضعفها، فلم يجبروا على ترك معتقداتهم أو يكرهوا على الدخول في الإسلام، والقاعدة العظمى في الإسلام أن لا إكراه في الدين، ولذا فقد عاش الذميون وغيرهم في كنف دولة الإسلام دون أن يتعرض أحد لعقائدهم ودياناتهم [(2)] .

إن الإسلام لم يقم على اضطهاد مخالفيه أو مصادرة حقوقهم أو تحويلهم بالكره عن عقائدهم أو المساس الجائر لأموالهم وأعراضهم ودمائهم وتاريخ الإسلام في هذا المجال أنصع تاريخ على وجه الأرض [(3)] .

ومن المقرر عند الفقهاء أنه لو أكره أحد على الإسلام فإنه لا يصح إسلامه. قال في المغني: "وإذا أكره على الإسلام من لا يجوز إكراهه كالذمي والمستأمن فأسلم لم يثبت له حكم الإسلام حتى يوجد منه ما يدل على إسلامه طوعا" [(4)]. ولذلك فإنه إذا عاد إلى دينه بعد زوال الإكراه لم يحكم بردته، ولا يجوز قتله ولا يجوز إكراهه على الإسلام، ونقل ابن قدامة إجماع أهل العلم على أن الذمي إذا أقام على ما عوهد عليه والمستأمن، لا يجوز نقض عهده ولا إكراهه على ما لم يلتزمه [(5)] .

---

(1) سورة الكهف آية: 29.

(2) انظر: تلبيس مردود في قضايا حية ، صالح بن حميد ، مكتبة المنارة ، مكة ، ط1 ، 1412ه ص 30.

(3) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ، محمد الغزالي ، دار التوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 1409ه ، ص 6.

(4) المغني ، ابن قدامة ، دار هجر ، القاهرة ، تحقيق: د عبد الله التركي ، د عبد الفتاح الحلو ط 2 ، 1412ه ج 12 ص 291.

(5) انظر: المرجع السابق ، ج 12 ص291 ، 292.

سماحة في العبادة: وإذا ما انتقل المرء إلى العبادات فإنه سيرى فيه صورا من سماحة الإسلام ويسره في سائر العبادات ففي الطهارة جاء التيسير والسماحة في المسح على الخفين وفي التيمم قال ﷺ « **وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا** » [1] [2] ودعا الله تعالى عباده إلى شكر هذه النعمة قال تعالى في ختام آية الوضوء ومشروعية التيمم عند فقد الماء أو تعذر استعماله: ﴿ **مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [3] قال ابن كثير رحمه الله:" أي لعلكم تشكرون نعمه عليكم فيما شرعه لكم من التوسعة والرأفة والتسهيل والسماحة " [4] .

وفي الصلاة يصليها المرء بحسب قدرته قائما أو قاعدا وفي أي مكان وشرع فيها الجمع والقصر عند السفر والجمع عند الحاجة، وفي الصوم كالتيسير على المريض والمسافر وكذا بقية أركان الإسلام فالزكاة على من ملك نصابا وحال عليه الحول، والحج مرة في العمر لمن استطاع.

وشريعة التعبد في الإسلام لا تقتصر على عمل دون آخر بل كل عمل يقوم به العبد عبادة فهو يميط الأذى عن الطريق عبادة واللقمة يضعها في فم زوجته عبادة ويمسك لسانه عن قول الغيبة والكذب عبادة ويكرم ضيفه عبادة ويعود المريض عبادة ويقوم بكل فعل جميل مما هو مشروع لنفسه أو لغيره ويكون له عبادة وكل عمل أريد به وجه الله فهو عبادة [5] .

سماحة في المعاملة: أما في مجال المعاملات والآداب فتتجلى صور عظيمة من السماحة، فلقد بنى الإسلام شريعة التسامح في علاقاته على أساس متين فلم يضق ذرعا بالأديان السابقة، وشرع للمسلم أن يكون حسن المعاملة رقيق الجانب لين القول مع المسلمين وغير المسلمين فيحسن جوارهم ويقبل ضيافتهم ويصاهرهم حتى تختلط الأسرة وتمتزج الدماء [6] .

وشرع الإسلام مواساة غير المسلمين بالمال عند الحاجة فشرع للمسلم أن يعطيهم من الصدقة ويهدى إليهم ويقبل هديتهم ويواسيهم عند المصيبة ويعود مريضهم ويهنئهم بما تشرع فيه التهنئة كالتهنئة بالمولود والزواج ويناديهم بأسمائهم المحببة إليهم تأليفا لهم [7] .

---

(1) البخاري التيمم (328) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (521) ، النسائي الغسل والتيمم (432) ، أحمد (304/3) ، الدارمي الصلاة (1389).

(2) رواه البخاري ، كتاب الصلاة ، باب قول النبي جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا رقم الحديث: 438.

(3) سورة المائدة آية: 6.

(4) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، مكتبة طيبة ، المدينة المنورة ، ط1 ، 1410ه ج2 ص 33.

(5) انظر: الموسوعة في سماحة الإسلام ، محمد الصادق عرجون ، الدار السعودية ، جدة ، ط 2 ، 1404ه ج 2 ص 682..

(6) انظر: من روائع حضارتنا ، مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي بيروت ط1 1420 ، ص133.

(7) انظر تفصيل ذلك في: دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، عبد الله اللحيدان ، مطابع الحميضي ، الرياض ط 1 ، 1420 ه ص 148 – 178.

ومن سماحة الإسلام في المعاملة أن شرع العدل مع المخالف وجعل ذلك دليلا على التقوى التي رتب عليها أعظم الجزاء قال تعالى: ﴿ يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (1) .

ولذا فإن من يتأمل أحكام الإسلام وتاريخ المسلمين يجد أنه لا يمكن أن يقوم مجتمع تحترم فيه الحقوق والواجبات كما في دولة الإسلام، وفي أوج عزة دولة الإسلام وقوتها كان يوجد من غير المسلمين العلماء والأدباء والأطباء والنابغون في مختلف الفنون والأعمال، وهل يمكن أن يكون لهؤلاء ظهور ونبوغ في أعمالهم لولا سماحة الإسلام ونبذه للتعصب الديني.

إن المعاهد في بلد الإسلام لا يعيش على هامش المجتمع بل يشارك ويخالط أفراد المجتمع، وقد يسند إليه بعض الأعمال التي هي من صميم عمل أهل الإسلام، فقد جوز الخرقي أن يكون الكافر من العاملين على الزكاة، وذكر في المغني أنها إحدى الروايتين عن الإمام أحمد؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ﴾ (2) وهذا لفظ عام يدخل فيه أي عامل على أي صفة كانت ولأن ما يأخذ على العمالة أجرة لعمله فلم يمنع من أخذه كسائر الإجارات (3) . بل صرح الإمام الماوردي بجواز أن يتولى الذمي وزارة التنفيذ دون وزارة التفويض (4) .

لقد أطلق الإسلام على غير المسلمين الذين لهم ذمة أهل الذمة وعاملهم بها وهي تعني: العهد والأمان والضمان، والحرمة والحق (5) وهو عهد منسوب إلى الله ﷻ وإلى الرسول ﷺ قال ابن الأثير: "وسمي أهل الذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم" (6) .

إن قوة هذا الدين وسلامة قواعده وتنوع أساليبه أوجدت مجالا خصبا للحوار والحرية والإبداع في المجتمع المسلم. (1) وإن من يأخذون ببعض النصوص من الكتاب أو السنة ويريدون تطبيقها في معاملة غير المسلمين يخطئون في فهم منهج الإسلام وطبيعته، فالواجب أن تؤخذ نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة كاملة وتقرر معاملة المسلم مع غيره في ضوئها وعلى هديها وفي القرآن العظيم آيات لا تحصر في الأمر بالبر والصلة والإحسان والعدل والقسط والوفاء

---

(1) سورة المائدة آية: 8.

(2) سورة التوبة آية: 60.

(3) انظر: المغني ، ابن قدامة ، ج 4 ص 107.

(4) انظر: الأحكام السلطانية ، الماوردي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1410ه ص 68 وانظر تفصيل أقوال العلماء في مسالة تولي الذمي وزارة التنفيذ في كتاب: أهل الذمة والولايات العامة في الفقه الإسلامي ، نمر النمر ، المكتبة الإسلامية ، عمان ، ط1 ، 1409ه ص 197-214 وانتهى المؤلف إلى القول بعدم جواز ذلك..

(5) انظر: النهاية في غريب الحديث ، ابن الأثير ، ج2 ص 168.

(6) المرجع السابق ج 2 ص 168.

بالعهد، والنصوص في ذلك مطلقة تستوعب كل أحد، بل إن نصوص الإحسان تشمل حتى الحيوان وفي الحديث عنه ﷺ قال: « **إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته** » [2] [3] وقال تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (4) وقال: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [5] وفي ظل هذا المفهوم العام للإحسان كان هدي النبي ﷺ في معاملة غير المسلمين وهو ما سأشير إليه في المبحث التالي.

المطلب الثاني سماحة النبي ﷺ في معاملة غير المسلمين

مثال للكمال البشري في حياته كلها، مثال للكمال في علاقته بربه وفي ﷺ رحمة للعالمين، وهو ﷺبعث الله تعالى نبيه « **كان** ﷺعلاقته بالناس كلهم بمختلف أجناسهم وأعمارهم وألوانهم، مسلمين وغير مسلمين، قال جابر بن عبد الله **رجلا سهلا** » [6] [7] قال النووي: " أي سهل الخلق كريم الشمائل لطيفا ميسرا في الخلق " [8] . ﷺ**رسول الله**
وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: « **ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها** » [9] [10] .
بمثل هذه القيم كانت دعوة النبي ﷺ يسر في كل شيء، وذود عن حرمات الله لا عن عرض الدنيا أو أهواء النفوس.
وتعدد صور السماحة في هدي النبي ﷺ مع غير المسلمين وشواهد ذلك من سيرته لا تحصر وأذكر منها ما يلي:

---

(1) انظر: أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي ، حسن الزين ، بيروت ، ط1 1402 ه ص 53.
(2) مسلم الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان (1955) ، الترمذي الديات (1409) ، النسائي الضحايا (4413) ، أبو داود الضحايا (2815) ، ابن ماجه الذبائح (3170) ، أحمد (125/4) ، الدارمي الأضاحي (1970).
(3) رواه مسلم ، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان ، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة ، رقم الحديث: 1955.
(4) سورة البقرة آية: 195.
(5) سورة البقرة آية: 83.
(6) البخاري الحج (1693) ، مسلم الحج (1213) ، النسائي مناسك الحج (2763) ، أبو داود المناسك (1785) ، ابن ماجه المناسك (3074).
(7) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران ، رقم الحديث: 1213.
(8) شرح صحيح مسلم ، النووي ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط 1 ، 1407ه ، ج 4 ص 410.
(9) البخاري المناقب (3367) ، مسلم الفضائل (2327) ، أبو داود الأدب (4785) ، أحمد (223/6) ، مالك الجامع (1671).
(10) رواه البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي رقم الحديث: 3560.

1- رحمته ﷺ بالخلق عامة وهو الذي قال الله ﷻ عنه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [1] فكان ﷺ الرحمة المهداة إلى الخلق كلهم، وحث على العطف على الناس ورحمتهم فقد قال ﷺ « **لا يرحم الله من لا يرحم الناس** » [2] [3] وكلمة الناس هنا تشمل كل أحد من الناس، دون اعتبار لجنسهم أو دينهم وجاءت النصوص في باب الرحمة مطلقة، وقد ساق البخاري في باب رحمة الناس والبهائم حديث النبي ﷺ « **ما من مسلم غرس غرسا فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة** » [4] [5] فدين الإسلام دين السماحة والرحمة يسع الناس كلهم ويغمرهم بالرحمة والإحسان.

2- تجاوزه عن مخالفيه ممن ناصبوا له العداء فقد كانت سماحته يوم الفتح غاية ما يمكن أن يصل إليه صفح البشر وعفوهم فكان موقفه ممن كانوا حربا على الدعوة و لم يضعوا سيوفهم بعد عن حربها أن قال لهم: « **اذهبوا فأنتم الطلقاء** » [6] .

3- دعاؤه ﷺ لمخالفيه من غير المسلمين فقد قدم الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه فقالوا: « **يا رسول الله إن دوسا قد كفرت وأبت فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس – ظنا بأن النبي ﷺ إنما رفع يديه للدعاء عليها – فقال ﷺ (اللهم اهد دوسا وائت بهم)** » [7] [8] . ودعا ﷺ لأم أبي هريرة قبل إسلامها فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: « **كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله ﷺ (اللهم اهد أم أبي هريرة)، فخرجت مستبشرا بدعوة نبي الله ﷺ فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف فسمعت أمي خشف قدمي فقالت: مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء قال فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها**

---

(1) سورة الأنبياء آية: 107.
(2) البخاري التوحيد (6941) ، مسلم الفضائل (2319) ، الترمذي البر والصلة (1922) ، أحمد (360/4).
(3) رواه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى: قل ادعو الله أو ادعو الرحمن أيا ما تدعو فله الأسماء الحسنى ، رقم الحديث: 7376.
(4) البخاري الأدب (5666) ، مسلم المساقاة (1553) ، الترمذي الأحكام (1382) ، أحمد (192/3).
(5) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، رقم الحديث: 6012.
(6) السيرة النبوية ، ابن هشام ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ، 1415ه ، ج 4 ص 61.
(7) البخاري الجهاد والسير (2779) ، مسلم فضائل الصحابة (2524) ، أحمد (243/2).
(8) رواه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيء ، رقم الحديث: 2524.

ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قال فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح » .. الحديث [1] .

وجاء الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالوا: « **يا رسول الله ادع الله على ثقيف فقال رسول الله ﷺ (اللهم اهد ثقيفا)، قالوا يا رسول الله ادع عليهم فقال: (اللهم اهد ثقيفا)، فعادوا فعاد فأسلموا** » [2] فوجدوا من صالحي الناس إسلاما ووجد منهم أئمة وقادة [3] .

ومن صور الدعاء ما كان من اليهود حيث كانوا يتعاطسون عند النبي ﷺ رجاء أن يقول لهم يرحمكم الله فلم يحرمهم من الدعوة بالهداية والصلاح، فكان يقول: « **يهديكم الله ويصلح بالكم** » [4] [5] .

4- وكان ﷺ يقبل هدايا مخالفيه من غير المسلمين « **فقبل هدية زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم في خيبر حيث أهدت له شاة مشوية قد وضعت فيها السم** » [6] [7] .

وقد قرر الفقهاء قبول الهدايا من الكفار بجميع أصنافهم حتى أهل الحرب قال في المغني: "ويجوز قبول هدية الكفار من أهل الحرب لأن النبي ﷺ فبل هدية المقوقس صاحب مصر " [8] .

5- وكان من سماحة النبي ﷺ أن يخاطب مخالفيه باللين من القول تأليفا لهم،كما تظهر سماحة النبي ﷺ مع غير المسلمين في كتبه إليهم حيث تضمنت هذه الكتب دعوتهم إلى الإسلام بألطف أسلوب وأبلغ عبارة.

---

(1) رواه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب من فضائل أبي هريرةرقم الحديث: 2491.

(2) الترمذي المناقب (3942).

(3) انظر: تاريخ المدينة ، ابن شبة ، دار العليان ، بريدة ، ط1 ج2 ص 98.

(4) البخاري الأدب (5870) ، أبو داود الأدب (5033) ، أحمد (353/2).

(5) رواه البخاري في الأدب المفرد ، باب إذا عطس اليهودي ، وصححه الألباني ، انظر: صحيح الأدب المفرد ، الألباني ، ص 348 رقم الحديث: 719.

(6) أبو داود الديات (4510) ، الدارمي المقدمة (67).

(7) رواه البخاري ، كتاب الهبة ، باب قبول الهدية من المشركين ، رقم الحديث: 2617.

(8) المغني ، ابن قدامة ، ج13 ص200.

6- وكان ﷺ يغشى مخالفيه في دورهم فعن أبي هريرة ﷺ قال: « **بينا نحن في المسجد إذ خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: انطلقوا إلى يهود فخرجنا معه حتى جئناهم فقام رسول الله ﷺ فناداهم فقال: (يا معشر يهود أسلموا تسلموا) فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم** » [1] ..الحديث [2] . وعاد ﷺ يهوديا، كما في البخاري عن أنس ﷺ « **أن غلاما ليهود كان يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقال: (أسلم) فأسلم** » [3] [4] .

7- وكان ﷺ يعامل مخالفيه من غير المسلمين في البيع والشراء والأخذ والعطاء، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: « **توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين. يعني: صاعا من شعير** » [5] [6] .

8- وكان ﷺ يأمر بصلة القريب وإن كان غير مسلم فقال لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: « **صلي أمك** » [7] [8] .

وفي المدينة حيث تأسس المجتمع الإسلامي الأول وعاش في كنفه اليهود بعهد مع المسلمين وكان ﷺ غاية في الحلم معهم والسماحة في معاملتهم حتى نقضوا العهد وخانوا رسول الله ﷺ أما من يعيشون بين المسلمين يحترمون قيمهم ومجتمعهم فلهم الضمان النبوي، فقد ضمن ﷺ لمن عاش بين ظهراني المسلمين بعهد وبقي على عهده أن يحظى بمحاجة النبي ﷺ لمن ظلمه فقال ﷺ « **ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة** » [9] [10] . وشدد الوعيد على من هتك حرمة دمائهم فقال ﷺ « **من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما** » [11] [12] تلك صور من سماحة النبي ﷺ مع غير المسلمين وهو ما سار عليه الصحابة رضي الله عنهم والتابعون من بعدهم وهو ما سأعرض له في المطلب التالي.

المطلب الثالث صور من سماحة الصحابة والتابعين في معاملة غير المسلمين

(1) البخاري الإكراه (6545) ، مسلم الجهاد والسير (1765) ، أبو داود الخراج والإمارة والفيء (3003) ، أحمد (451/2).
(2) رواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب إجلاء اليهود من الحجاز ، رقم الحديث: 1765.
(3) البخاري المرضى (5333) ، أبو داود الجنائز (3095) ، أحمد (175/3).
(4) رواه البخاري ، كتاب المرضى ، باب عيادة المشرك ، رقم الحديث:5657.
(5) البخاري الجهاد والسير (2759) ، مسلم المساقاة (1603) ، النسائي البيوع (4650) ، ابن ماجه الأحكام (2436) ، أحمد (42/6).
(6) رواه البخاري ، كتاب المغازي ، رقم الحديث: 4467.
(7) البخاري الهبة وفضلها والتحريض عليها (2477) ، مسلم الزكاة (1003) ، أبو داود الزكاة (1668) ، أحمد (347/6).
(8) رواه البخاري ، كتاب الهبة ، باب الهدية للمشركين ، رقم الحديث: 2620.
(9) أبو داود الخراج والإمارة والفيء (3052).
(10) رواه أبو داود ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب في تعشير أهل الذمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ت ، رقم الحديث: 3052 وصححه الألباني ، صحيح سنن أبي داود ، الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1409ه ، ج 2 ص 59.
(11) البخاري الجزية (2995) ، النسائي القسامة (4750) ، ابن ماجه الديات (2686) ، أحمد (186/2).
(12) رواه البخاري ، كتاب الجزية والموادعة ، باب إثم من قتل معاهدا ، رقم الحديث: 3166.

تقدم القول بأن تاريخ الإسلام شاهد على أن المسلمين لم يكرهوا أحدا في أي فترة من فترات التاريخ على ترك دينه، فالإسلام دين العقل والفطرة ولا يقبل من أحد أن يدخله مكرها، تحدى الأولين والآخرين بمعجزته الخالدة، و لم يعرف في تاريخ المسلمين الطويل أنهم ضيقوا على اليهود والنصارى أو غيرهم أو أنهم أجبروا أحدا من أي طائفة من الطوائف اليهودية أو النصرانية على اعتناق الإسلام (1) . يقول توماس آرنولد: "لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام غير المسلمين على قبول الإسلام أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي " (2) .

لقد كان عهد الخلفاء الراشدين امتدادا لعهد النبي ﷺ وشهد صورا من سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين من إعانتهم بالمال أو النفس عند الحاجة، ومن كفالة العاجز منهم عن العمل أو كبير السن، وغير ذلك. وهذا هو ما سار عليه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم في صدر الإسلام في معاملتهم لأهل الذمة، وأسوق هنا بعض الشواهد والأمثلة التي تبين سماحة الصحابة رضي الله عنهم في معاملة غير المسلمين.

1- في خلافة أبي بكر ﷺ كتب خالد بن الوليد ﷺ في عقد الذمة لأهل الحيرة بالعراق- وكانوا من النصارى -: " وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله" (3) .

إن الذين يسعون إلى تقرير التكافل الاجتماعي وبيان صوره لن يجدوا أعظم من هذه الصورة في الإسلام مع مخالفيه، فهو يتسامى بمن يعيشون في كنفه ويحوطهم برحمته وإحسانه عندما يحتاجون إلى مواساة لأي سبب من الأسباب بل يجعلهم عيالا على بيت مال المسلمين ويرضخ له منه أيا كانت ديانتهم.

إن التكافل الاجتماعي في الإسلام لا يرضى أن يذل رجل من أهل الذمة وهو يحيا في كنف الإسلام فيعيش على الصدقة يتكفف الناس ولكن الإسلام يحميه ويكرمه ويوجب على الدولة أن تعوله وتعول عياله (4) .

2- وكان أبو بكر ﷺ يوصي الجيوش الإسلامية بقوله:" وستمرون على قوم في الصوامع رهبانا يزعمون أنهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم " (5) .

3- وأوصى عمر ﷺ الخليفة من بعده بأهل الذمة أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم (6) .

(1) انظر: عقد الذمة في التشريع الإسلامي ، محمد المطردي ، الدار الجماهيرية ، طرابلس ، ط 1 ، 1987م ص 17.

(2) الدعوة إلى الإسلام ، توماس آرنولد ، مكتبة النهضة ، مصر ، ط 3 ، 1970م ، ص 99.

(3) كتاب الخراج ، أبو يوسف ، ص 306.

(4) انظر: الموسوعة في سماحة الإسلام ، ج 1 ص 446.

(5) فتوح الشام ، الواقدي ، دار الجيل بيروت ، د ت ، ج 1 ص 8.

(6) رواه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في قبر النبي وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما رقم الحديث: 1392.

4- ومر عمر بن الخطاب ﷺ بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه (1) .

5- إن السماحة في المعاملة يجب أن تكون في ضوء ضوابط الشرع ومقاصده ومثل ذلك يتطلب أن يكون المسلم على بصيرة بهدي النبي ﷺ وسلف الأمة من الصحابة والتابعين في هذا الشأن، فمن صور السماحة في المعاملة ما روي عن عمر ﷺ أنه لما قدم الجابية من أرض الشام استعار ثوبا من نصراني فلبسه حتى خاطوا قميصه وغسلوه وتوضأ من جرة نصرانية. وصنع له أهل الكتاب طعاما فدعوه فقال أين هو قالوا: في الكنيسة فكره دخولها وقال لعلي ﷺ اذهب بالناس فذهب علي ﷺ بالمسلمين فدخلوا فأكلوا وجعل علي ﷺ ينظر إلى الصور وقال: ما على أمير المؤمنين لو دخل فأكل (2) .

6- ومن السماحة أن يراعى في معاملتهم كل مصلحة وقصد صحيح فعن عبد الله بن قيس قال: كنت فيمن تلقى عمر بن الخطاب مع أبي عبيدة مقدمه من الشام فبينما عمر يسير إذ لقيه (المقلسون) وهم قوم يلعبون بلعبة لهم بين أيدي الأمراء إذا قدموا عليهم بالسيوف والريحان فقال عمر ﷺ مه ردوهم وامنعوهم فقال أبو عبيدة يا أمير المؤمنين هذه سنة العجم أو كلمة نحوها وإنك إن تمنعهم منها سروا أن في نفسك نقضا لعهدهم فقال: دعوهم، عمر وآل عمر في طاعة أبي عبيدة (3) .

7- وصلى سلمان وأبو الدرداء رضي الله عنهما في بيت نصرانية فقال لها أبو الدرداء ﷺ هل في بيتك مكان طاهر فنصلي فيه ؟ فقالت طهرا قلوبكما ثم صليا أين أحببتما فقال له سلمان ﷺ خذها من غير فقيه (4) .

8- وجاء في صفة الصفوة أن عمر بعث عميرا عاملا على حمص فمكث حولا لا يأتيه خبره و لم يبعث له شيئا لبيت مال المسلمين، فقال عمر لكاتبه: اكتب إلى عمير فوالله ما أراه إلا قد خاننا إذا جاءك كتابي هذا فأقبل وأقبل بما جبيت من فيء المسلمين حين تنظر في كتابي هذا. فأخذ عمير – لما وصله كتاب عمر – جرابه فوضع فيه زاده وقصعته وعلق إداوته وأخذ عنزته ثم أقبل يمشي من حمص حتى قدم المدينة فقدم وقد شحب لونه واغبر وجهه فدخل على عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله قال عمر: ما شأنك ؟ قال: ما تراني صحيح البدن ظاهر الدم، معي الدنيا أجرها بقرونها ؟ قال عمر: وما معك ؟ وظن عمر أنه جاءه بمال. قال: معي جرابي أجعل فيه زادي،

---

(1) كتاب الخراج ، أبو يوسف ، ص 126.

(2) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، ابن القيم ، دار المعرفة ، بيروت ، د ت ، ج 1 ص 153 ، 157.

(3) كتاب الأموال ، أبو عبيد القاسم بن سلام ، دار إحياء التراث الإسلامي ، قطر ، 1987م ص 180.

(4) انظر: إغاثة اللهفان ، ابن القيم ، ج1 ص 153.

وقصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثيابي وإداوتي أحمل فيها وضوئي وشرابي، ومعي عنزتي أتوكأ عليها وأجاهد بها عدوا إن عرض لي، فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعي. وسأله عمر عن سيرته في قومه وعن الفيء فأخبره، فحمد فعله فيهم ثم قال:جددوا لعمير عهدا.

قال عمير: إن ذلك شيء لا أعمله لك ولا لأحد بعدك، والله ما سلمت بل لم أسلم، لقد قلت لنصراني: أخزاك الله، فهذا ما عرضتني له يا عمر، وإن أشقى أيامي يوم خلفت معك. [1] لقد عظم على عمير قوله لرجل من غير المسلمين: أخزاك الله، وهو دعاء، وما ذكر خطأ اقترفه في ولايته على حمص أعظم من هذا، وفي ذلك دليل على أن هذا الدين ما جاء إلا بالرحمة والهداية وإنقاذ البشر من الضلال إلى الهدى ومن ظلمات الكفر إلى نور الطاعة، ولا عجب فمن مدرسة النبوة تخرج هذا الصحابي وغيره، ممن لا يؤذون الناس بل يغمرونهم بعطفهم ورحمتهم وسماحتهم وإحسانهم، ولذا قال عنه عمر: إنه نسيج وحده، وقال: وددت أن لي رجلا مثل عمير بن سعد استعين به على أعمال المسلمين[2].

إن الدعاء لغير المسلمين وفق ضوابط الشرع من أعظم صور التسامح في الإسلام ومن محاسنه الكبرى التي تنظر إلى الإنسان نظرة تكريم وعناية، وفي الدعاء استمالة ظاهرة لقلب المدعو فكل أحد يتمنى من الناس الدعاء له بالخير، ومن هنا قال ابن عباس ﷺ لو قال لي فرعون: بارك الله فيك قلت: وفيك، وفرعون قد مات [3] .

9- وعن مجاهد قال كنت عند عبد الله بن عمرو ﷺ وغلامه يسلخ شاة فقال: **« يا غلام إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودي فقال رجل من القوم: اليهودي أصلحك الله ؟ قال: سمعت النبي ﷺ يوصي بالجار حتى خشينا أو روينا أنه سيورثه »** [4] [5] .

10- وفي خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله كتب إلى عدي بن أرطأة: وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه [6] .

وهذا لون من السماحة في المعاملة والعدل الذي لا يعرف له وجود إلا في الإسلام لأنه قائم على احترام الإنسانية ومعرفة حقوقها [7] .

11- وعندما أمر عمر بن عبد العزيز رحمه الله مناديه ينادى: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، قام إليه رجل ذمي من أهل حمص فقال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله قال: وما ذاك ؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني

(1) صفة الصفوة ، ابن الجوزي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط 1 1409 ه ، ج 1 ص 354.
(2) المرجع السابق ، ج 1 ص 356.
(3) رواه البخاري في الأدب المفرد باب كيف يدعو للذمي؟ وحسنه الألباني ، انظر: صحيح الأدب المفرد ، الألباني ، ص 430 رقم الحديث 847.
(4) البخاري الأدب (5669) ، مسلم البر والصلة والآداب (2625) ، أحمد (85/2).
(5) رواه البخاري في الأدب المفرد ، باب جار اليهودي ، وصححه الألباني ، انظر: صحيح الأدب المفرد ، الألباني ص 72 رقم الحديث: 95.
(6) كتاب الأموال ، أبو عبيد ، ص 57.
(7) انظر: الموسوعة في سماحة الإسلام ، محمد الصادق عرجون ، ج 1 ص 211.

أرضي. والعباس جالس، فقال له عمر: يا عباس ما تقول ؟ قال: نعم أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد وكتب لي بها سجلا، فقال عمر: ما تقول يا ذمي ؟ قال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى، فقال عمر: نعم كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد قم فاردد عليه ضيعته فردها عليه (1) .

12- وفي عهد الرشيد كانت وصية القاضي أبي يوسف له بأن يرفق بأهل الذمة حيث يخاطبه بقوله: "ينبغي يا أمير المؤمنين أيدك الله أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد ﷺ والتفقد لهم حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم ولا يؤخذ من أموالهم إلا بحق يجب عليهم" (2) .

بمثل هذه المعاملة ساد المسلمون الأوائل وكانت معاملتهم محط إعجاب مخالفيهم فشهدوا لهم بالسمو في أخلاقهم والتسامح في معاملتهم وهو ما سأعرض له في المبحث التالي.

المطلب الرابع سماحة الإسلام في المعاملة في كتابات غير المسلمين

منذ فجر الدعوة الإسلامية كانت شهادة خصومها ظاهرة بينة إذ رأوا من سماحة هذا الدين وتيسيره ما بهر عقولهم وأخذ بألبابهم ورأوا من سلوك أهله ما دعاهم إليه، فاستجابت نفوس الكثيرين إليه وإلى أهله وإن لم يؤمنوا به، فدون التاريخ شهاداتهم له ولأهله بحسن المعاملة والسماحة العظيمة.

1- فمن ذلك ما كتبه نصارى الشام في صدر الإسلام حيث كتب النصارى في الشام سنة 13هـ إلى أبي عبيدة بن الجراح ﷺ يقولون:" يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا " (3) . واستمر هذا النهج في معاملة غير المسلمين عبر تاريخ الإسلام.

2- ففي الوقت الحاضر يعيش طوائف عديدة من النصارى في بلاد الشام ومصر وبلاد المغرب العربي وهي شاهد على سماحة الإسلام جعلت المستشرق الإنجليزي توماس آرنولد يقول:

" إن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح " (4) .

ويقول أيضا: "لما كان المسيحيون يعيشون في مجتمعهم آمنين على حياتهم وممتلكاتهم ناعمين بمثل هذا التسامح الذي منحهم حرية التفكير الديني تمتعوا وخاصة في المدن بحالة من الرفاهية والرخاء في الأيام الأولى من الخلافة" (5) .

(1) انظر: البداية والنهاية ، ابن كثير ، دار الفكر ، بيروت ، د ت ، ج 9 ص 213.

(2) الخراج ، أبو يوسف ، دار المعرفة ، بيروت ، 1399ه ص 125.

(3) فتوح البلدان ، البلاذري ، دار الهلال ، بيروت ، ط1 ، 1403ه ، ص 139 وانظر: الدعوة إلى الإسلام ، توماس آرنولد ، ص 73 وكتاب الخراج ، أبو يوسف ، ص 139.

(4) الدعوة إلى الإسلام ، توماس آرنولد ، ص 70.

(5) انظر: الدعوة إلى الإسلام ، توماس آرنولد ، ص 81.

3- وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: " العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام فالمسيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها سمح لهم جميعا دون أي عائق يمنعهم بممارسة شعائر دينهم وترك المسلمون لهم بيوت عبادهم وأديرهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى، أوليس هذا منتهى التسامح ؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال ومتى ؟ ومن ذا الذي لم يتنفس الصعداء بعد الاضطهاد البيزنطي الصارخ وبعد فظائع الأسبان واضطهاد اليهود. إن السادة والحكام المسلمين الجدد لم يزجوا أنفسهم في شئون تلك الشعوب الداخلية. فبطريرك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع لأخيه بطريرك القسطنطينية عن العرب: إنهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا البتة وهم لا يستخدمون معنا أي عنف" [1] .

4- ويقول غوستاف لوبون: فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ولا دينا سمحا مثل دينهم [2] . ويتحدث عن صور من معاملة المسلمين لغير المسلمين فيقول: وكان عرب أسبانيا خلا تسامحهم العظيم يتصفون بالفروسية المثالية فيرحمون الضعفاء ويرفقون بالمغلوبين ويقفون عند شروطهم وما إلى ذلك من الخلال التي اقتبستها الأمم النصرانية بأوربا منهم مؤخرا [3] .

5- ويقول هنري دي شامبون مدير مجلة "ريفي بارلمنتير "الفرنسية حيث قال: لولا انتصار جيش شارل مارتل الهمجي على العرب المسلمين في فرنسا لما وقعت بلادنا في ظلمات القرون الوسطى ولما أصيبت بفظائعها ولا كابدت المذابح الأهلية التي دفع إليها التعصب الديني المذهبي، لولا ذلك الانتصار الوحشي على المسلمين في بواتييه لظلت أسبانيا تنعم بسماحة الإسلام ولنجت من وصمة محاكم التفتيش ولما تأخر سير المدنية ثمانية قرون ومهما اختلفت المشاعر والآراء حول انتصارنا ذاك فنحن مدينون للمسلمين بكل محامد حضارتنا في العلم والفن والصناعة مدعوون لأن نعترف بأنهم كانوا مثال الكمال البشري في الوقت الذي كنا فيه مثال الهمجية [4] .

6- ويقول المستشرق دوزي: "إن تسامح ومعاملة المسلمين الطيبة لأهل الذمة أدى إلى إقبالهم على الإسلام وأنهم رأوا فيه اليسر والبساطة مما لم يألفوه في دياناتهم السابقة " [5] .

7- ويقول المستشرق بارتولد:" إن النصارى كانوا أحسن حالا تحت حكم المسلمين إذ أن المسلمين اتبعوا في معاملاتهم الدينية والاقتصادية لأهل الذمة مبدأ الرعاية والتساهل " [6] .

---

(1) شمس العرب تسطع على الغرب ، زيغريد هونكه ، دار صادر ، بيروت ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، ط 10 ، 1423ه ص 364.

(2) انظر: حضارة العرب ، غوستاف لوبون ، ص 720.

(3) حضارة العرب ، غوستاف لوبون ، ص 344 ، وانظر: السلوك ، أثره في الدعوة إلى الله ، فضل إلهي ، إدارة ترجمان الإسلام ، باكستان ، ط 1 ، 1419ه ص 164.

(4) نقلا عن: صور من حياة التابعين ، عبد الرحمن الباشا ، دار الأدب الإسلامي ، القاهرة ، ط 15 ، 1418ه ص 420.

(5) انظر: تاريخ أهل الذمة في العراق ، توفيق سلطان ، دار العلوم ، الرياض ، ط1 ، 1403 ه ص 70 نقلا عن: نظرات في تاريخ الإسلام ، دوزي ، ص 411.

(6) انظر: تاريخ أهل الذمة في العراق ، توفيق سلطان ، ص 124 ، نقلا عن الحضارة الإسلامية ، بارتولد ، ق. ص 19.

8- ويقول المستشرق ديورانت: " لقد كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرا في البلاد المسيحية في هذه الأيام " [1] .

9- ويقول أحد الكتاب الأمريكيين المعاصرين وهو: آندرو باترسون: " إن العنف باسم الإسلام ليس من الإسلام في شيء بل إنه نقيض لهذا الدين الذي يعني السلام لا العنف " [2] .

10- ويقول بول فندلي وهو عضو سابق في الكونجرس الأمريكي: على المسلمين الإعلان جهرا عن هويتهم الإسلامية والبحث عن وسائل تمكنهم من عرض حقيقة دينهم على غير المسلمين.. ولا يجدر بهم انتظار حدوث أزمة كي يعلموا الآخرين بحقيقة دينهم..لا بد للمسلمين أن يجاهروا بإسلامهم مجاهرة يكون سلوكهم الحسن معها وإنجازاتهم المجدية سبيلا للتعرف على الإسلام [3] .

11- وكانت سماحة الإسلام سببا في إسلام الشاعر الأمريكي رونالد ركويل فقال بعد أن أشهر إسلامه: لقد راعني حقا تلك السماحة التي يعامل بها الإسلام مخالفيه سماحة في السلم وسماحة في الحرب والجانب الإنساني في الإسلام واضح في كل وصاياه [4] .

إن عظمة هذا الدين لا تخفى إلا على من جهل حقيقة الإسلام أو عميت بصيرته عنه أو كان به لوثة من هوى أو حقد مقيت، وإلا فإن سماحة الإسلام في المعاملة وتيسيره في كل أموره، ظاهر بأدنى تأمل لمن طلب الحق وسعى إلى بلوغه والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

المطلب الخامس

التطبيق الحضاري لسماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين في المملكة العربية السعودية

تعد المملكة العربية السعودية الامتداد التاريخي والحضاري لدولة الإسلام الأولى، فقد تأسست هذه الدولة على هدي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ منذ نشأتها الأولى، وارتسمت المنهاج النبوي وهدي السلف الصالح، وتوالى الأمراء والملوك على هذه الدولة يذودون عن مبادئها ومنطلقاتها ويحكمون فيها بشرع الله تعالى، ومن نعم الله تعالى أن تبوأت المملكة العربية السعودية مكانة متميزة في العالم المعاصر فهي جمعت بين الأخذ بهدي الإسلام وتعاليمه وتطبيق أحكامه وبين أسباب الحضارة والتقدم.

(1) قصة الحضارة ، ول ديورانت ، دار الجيل ، بيروت ، د ت ، ج 13 ص 130.

(2) لا سكوت بعد اليوم ، بول فندلي ، شركة المطبوعات ، بيروت ، ط 2 ، 2001م ص 91.

(3) لاسكوت بعد اليوم ، بول فندلي ، ص 344. بتصرف.

(4) انظر: معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، إدوار غالي الدهبي ، مكتبة غريب ، مصر ، ط 1 ، 1993م ص 49.

وإن من يرى المنهج الذي اختطته المملكة العربية السعودية في علاقاتها ونظمها يجدها ترتكز فيه على مبادئ الشرع المطهر وصور ذلك لا تحصر ومن هذه الصور تطبيق أحكام الإسلام في معاملة غير المسلمين الذين يقيمون فيها، ولذا فإن غير المسلمين فيها ينعمون بحقوقهم التي كفلها الشرع المطهر من حمايتهم في أبدانهم وأموالهم وأعراضهم.

إن غير المسلمين في المملكة العربية السعودية يدخلون ضمن أفراد المجتمع الإسلامي الذي أذن لهم بالبقاء بعهد الأمان الذي قررته الشريعة الإسلامية وقررت في ضوئه حقوق غير المسلمين وواجباتهم، ولذا فحقوق غير المسلمين مكفولة لهم ينعمون بها ليس لأن منظمة حقوق الإنسان تنادي بذلك أو بقية الهيئات الدولية ولكن لأن المملكة تطبق شريعة الإسلام السمحة التي لا تضيق بالمخالف وتضمن له حقوقه، ولذلك فإن السماحة في معاملة غير المسلمين في المملكة العربية السعودية تكتسب قوتها من استنادها إلى نصوص الشرع من الكتاب والسنة فهي ليست توصيات أو قانونا يخضع للتبديل والتغيير بل هو شرع مطبق.

وأعرض هنا لبعض هذه الحقوق التي ينعم بها غير المسلمين في المملكة العربية السعودية وهي تؤكد بقاء سماحة هذا الدين في معاملة مخالفيه شريعة تطبق فمن ذلك [1].

– حماية دمائهم وأموالهم وأعراضهم، حيث تتكفل المملكة العربية السعودية بحمايتهم في ذلك كله تطبيقا لنصوص الشرع التي أمرت بذلك، ويصرح علماء هذه البلاد وأئمتها بحرمة دمائهم وأعراضهم وأموالهم بموجب عقد الأمان الذي دخلوا به البلاد، فلا يجوز الاعتداء عليهم أو انتهاك أعراضهم أو غشهم أو سرقة أموالهم، وتؤكد التعليمات والأنظمة التي تسمح لغير المسلمين بدخول المملكة على حفظ أموالهم وعدم تأخير حقوقهم المالية فقد أوجب نظام العمل والعمال السعودي على صاحب العمل عدم تأخير حقوق عماله المالية [2] .

– ومنها: عدم إكراههم على ترك دينهم فيتركون وما يدينون ولا يكرهون على الدخول في الإسلام.

– ومنها: عدم إيذائهم فلا يجوز لأحد من الناس أن يؤذيهم أو يضيق عليهم، ويحرص علماء هذه البلاد على تقرير الفهم الصحيح لنصوص الشرع التي جاءت تبين هدي الإسلام في معاملة غير المسلمين، إذ قد يؤتى المرء من قبل تفسير بعض النصوص التي تأمر بالإغلاظ أو بالتضييق وفهمها على إطلاقها دون الرجوع إلى فهم السلف الصالح لها، وهو ما يقرره علماء هذه البلاد قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله عند شرح حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه** » [3] [4] قال: "

---

(1) انظر تفصيل هذه الحقوق في بحث: حقوق غير المسلمين في المملكة العربية السعودية وواجباتهم ، عبد الله بن إبراهيم اللحيدان ، مجلة دراسات إسلامية ، وزارة الشئون الإسلامية ، العدد الرابع ، 1422هـ.

(2) انظر: شرح نصوص نظام العمل والعمال في المملكة العربية السعودية ، يوسف عبد المجيد ، الدار السعودية ، جدة ، ط2 ، 1413هـ المادة 8 والمادة 15.

(3) مسلم السلام (2167) ، الترمذي الاستئذان والآداب (2700) ، أبو داود الطهارة (149) ، أحمد (346/2).

(4) رواه مسلم ، كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم ، رقم الحديث: 2167.

المعلوم أن هدي النبي ﷺ ليس إذا رأى الكفار ذهب ليضيق عليهم الطريق ما كان النبي ﷺ يفعل هذا مع اليهود في المدينة ولا أصحابه يفعلونه بعد فتوح الأمصار" [1] .

– الإحسان إليهم والبر بهم حيث ينعم غير المسلمين من أهل هذه البلاد بحسن الجوار وشتى صور الإحسان والتسامح في المعاملة، فهذا هو المنهج الذي ارتسمته هذه الدولة وأكد عليه علماؤها، وهو الموافق لما تقدم من هدي النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

ومن ينظر إلى التطبيقات العملية لنظام العمل والعمال يجد أن نصوصه كفلت للعاملين حقوقا كثيرة دون تمييز لأحد عن أحد وهي تشير في مضامينها إلى العدل والحماية والوقاية والأخذ بأسباب السلامة والرعاية الصحية [2] وهذه الحقوق تكتسب قوتها من أن أداءها ليس واجبا يؤدى بل عقيدة يتقرب بها المرء إلى الله.

إن سماحة التعامل مع غير المسلمين في المملكة العربية السعودية تؤكد عظمة دين الإسلام، وإن على أهل الإسلام أن يدركوا الحكمة من تشريع الإسلام لهذه المعاملة، وأن ينشروا دين الله إلى الناس كلهم ويحققوا مقتضى الشهادة التي أنيطت بهم في قوله تعالى: ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** ﴾ [3] .

الخاتمة

وبعد ففي ختام هذا البحث، فأحمد الله تعالى على إتمامه، ولا يسع الباحث إلا أن يؤكد عظيم سماحة دين الإسلام، فهو دين الله الخالد إلى قيام الساعة، وسماحته ظاهرة في أركانه وتشريعاته وآدابه ومعاملاته، وقد تبين من البحث أن الإسلام شرع في معاملة غير المسلمين صورا عظيمة تبين عظمة هذا الدين وشموله فهدي الإسلام في معاملة المخالفين أعظم هدي وأكمله، كما تبين ما يلي:

1- أن السهولة والمسامحة من دين الإسلام ولها ضوابطها المقررة في الكتاب والسنة.

2- إن سماحة الإسلام تتوافق مع عالميته وواقعيته، إذ لا يسع دين العالم كله إلا إذا كان فيه من السماحة واليسر ما يتوافق مع طبيعة البشر على اختلاف ثقافاتهم وعاداتهم.

3- إن هدي النبي ﷺ في معاملة غير المسلمين كان غاية في التسامح والعدل واقتفى الصحابة رضي الله عنهم أثره في ذلك فملئوا الأرض عدلا وأمنا بعد أن ملئت ظلما وجورا.

---

(1) الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات ، ابن عثيمين ، إعداد علي أبو لوز ، دار المجد ، الرياض ، ط1 ، 1414ه ص 189.

(2) انظر: شرح نصوص نظام العمل والعمال في المملكة العربية السعودية ، يوسف عبد المجيد ، المادة 24 والمادة 82 والمادة 135.

(3) سورة البقرة آية: 143.

4- تبين من البحث أن الذين قرءوا عن تاريخ الإسلام بإنصاف لم يملكوا إلا أن يذعنوا للحق والشهادة بأن التاريخ لم يشهد تسامحا وعدلا مع المخالفين كما شهده في بلاد الإسلام.

5- إن التسامح مع غير المسلمين في المملكة العربية السعودية يستند إلى تحكيم الشريعة الإسلامية التي كفلت لهم من الحقوق ما هو مقرر في الكتاب والسنة، والسماحة في معاملة غير المسلمين في المملكة تستند في تطبيقها إلى قوة الشرع المطهر لا إلى القوانين أو التوصيات الدولية.

ويؤكد الباحث من خلال ذلك على ما يلي:

– أهمية فهم المدلول الشرعي لسماحة الإسلام لأن عدم فهمها يؤدي إلى الوقوع في المحظور، فتظهر طائفتان إحداهما تتساهل في المعاملة مع المخالفين في كل شيء والأخرى تتشدد في المعاملة معهم ومنهج الإسلام وسط في ذلك.

– ضرورة تقريب هدي النبي ﷺ في معاملة غير المسلمين فهو أعظم أسوة كما أن تاريخ الإسلام مليء بالشواهد والأدلة التي تبين سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين.

– بيان فقه معاملة غير المسلمين وبيان سماحة الإسلام عبر الوسائل الإعلامية والتعليمية المشروعة والمتاحة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم

على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

* إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، دار المعرفة، بيروت، د ت.

* الأحكام السلطانية، الماوردي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1410ه.

* أهل الذمة والولايات العامة في الفقه الإسلامي، نمر محمد النمر، المكتبة الإسلامية، عمان، ط 1، 1409ه.

* أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي، حسن الزين، بيروت، ط1 1402 ه.

* البداية والنهاية، الإمام ابن كثير،دار الفكر، بيروت، د ت.

* تاريخ أهل الذمة في العراق تاريخ أهل الذمة في العراق، توفيق سلطان، دار العلوم، الرياض، ط1، 1403ه.

* تاريخ المدينة، ابن شبة،دار العليان، بريدة، ط1، 1411ه.

* التعصب والتسامح التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، محمد الغزالي، دار التوزيع، القاهرة، ط 1، 1409ه.

* تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط1، 1410ه.

* تلبيس مردود في قضايا حية، صالح بن حميد، مكتبة المنارة، مكة،ط1412 ، 1ه.

* حضارة العرب، غوستاف لوبون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ترجمة عادل زعيتر، ط 3 1399ه.

* حقوق غير المسلمين في المملكة العربية السعودية وواجباتهم، بحث منشور في مجلة دراسات إسلامية، وزارة الشئون الإسلامية، الرياض، العدد الرابع، 1422هـ.

* حلية الأولياء، الأصبهاني،دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، 1407هـ.

* الدعوة إلى الإسلام، توماس آرنولد، مكتبة النهضة،، مصر، ترجمة إبراهيم حسن، ط 3، 1970م.

* دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، عبد الله اللحيدان، مطابع الحميضي، الرياض، ط1، 1420هـ.

* رياض الصالحين، الإمام النووي، مكتبة الوراق، الرياض، ط 1، 1416هـ.

* السلوك وأثره في الدعوة إلى الله، فضل إلهي، إدارة ترجمان الإسلام، باكستان، ط 1، 1419هـ.

* سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.

* السيرة النبوية، ابن هشام، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط1، 1415هـ.

* شرح صحيح مسلم، النووي، مكتبة المعارف، الرياض، ط 1، 1407هـ.

* شرح نصوص نظام العمل والعمال في المملكة العربية السعودية، يوسف عبد المجيد، الدار السعودية، جدة، ط2، 1413هـ.

* شمس العرب تسطع على الغرب،زيغريد هونكه، دار صادر، بيروت ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، ط 10، 1423هـ.

* الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات، ابن عثيمين، إعداد علي أبو لوز، دار المجد، الرياض، ط1، 1414هـ.

* صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد ناصر الألباني، دار الصديق، الجبيل، ط 2، 1415هـ.

* صحيح البخاري، الإمام البخاري، دار السلام، الرياض، ط1، 1417هـ.

* صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1409هـ.

* صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1418هـ.

* صفوة الصفوة، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1 1409 هـ.

* صور من حياة التابعين، عبد الرحمن الباشا، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط 15، 1418هـ.

* عقد الذمة في التشريع الإسلامي، محمد المطردي، الدار الجماهيرية، طرابلس، ط 1، 1987م.

* فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، د ت.

* فتوح البلدان، البلاذري، دار الهلال، بيروت، ط1، 1403هـ.

* فتوح الشام، الواقدي، دار الجيل، بيروت، د ت.

* قصة الحضارة، ول وايريل ديورانت، دار الجيل، بيروت، ترجمة: محمد بدران، د ت.

* كتاب الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام،دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، 1987م.

* كتاب الخراج، أبو يوسف، دار المعرفة، بيروت، 1399هـ.

* لا سكوت بعد اليوم، بول فندلي، شركة المطبوعات، بيروت، ط 2، 2001م.
* معاملة غير المسلمين في الإسلام مجموعة أبحاث، المجمع الملكي، الأردن، ط1 1409ه.
* معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، إدوار غالي الدهبي، مكتبة غريب، مصر، ط 1، 1993م.
* معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مكتبة الخانجي، مصر، ط 3، 1402ه.
* المغني، ابن قدامة المقدسي، دار هجر، القاهرة، ط2، 1413ه.
* من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، دار الوراق، بيروت، ط1، 1420 ه.
* الموسوعة في سماحة الإسلام، محمد الصادق عرجون، الدار السعودية، جدة، ط 2، 1404ه.
* النهاية في غريب الحديث، مجد الدين ابن الأثير،دار أنصار السنة، لاهور، د ت.

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

الفهرس